دور اللبنانيين في الصحافة المصرية ابان الاحتلال البريطاني

د. مسعود ضاهر(*)

توطئة منهجية:

أفسح المجتمع المصري المجال واسعاً أمام الشوام، خاصة السوريين واللبنانيين منهم، كي يلعبوا دوراً بارزاً في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإدارية والمالية وغيرها. ولا يتسع مجال هذه الدراسة لبحث تلك الجوانب بل ستقتصر على إبراز دورهم عبر الصحافة التي أصدروها في مصر إبان الاحتلال البريطاني لها 1882 - 1952.

هاجر بعض الصحافيين اللبنانيين إلى مصر بدافع الاضطهاد العثماني أيام السلطان عبد الحميد الثاني بشكل خاص، لكن الغالبية الساحقة منهم انتقلت إليها طوعاً بدافع العمل وجمع المال والبحث عن الشهرة والنفوذ. وتدل وثائق المرحلة أن المهاجرين الأوائل عملوا في التجارة بشكل أساسي ولم ينصرف بعضهم إلى العمل الصحفي إلا في عهد اسماعيل، فصدرت أول صحيفة لمهاجر لبناني في مصر هو حبيب غرزوزي يعاونه عبد الله أبو السعود هي صحيفة «وادي النيل» وذلك عام 1866. وتبرز كذلك العلاقات الممتازة التي سادت أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين بين الشوام والمصريين. وبرزت أسماء لمدن ومناطق لبنانية على واجهات محلات مصر وشوارعها، خاصة في الإسكندرية والقاهرة والمنصورة، وبالمقابل تصدرت أسماء مدن وأماكن مصرية كثيرة واجهات المؤسسات اللبنانية خاصة الفنادق والمطاعم والمقاهي منها؛ مصر، وادي النيل، الأهرام، القناة، سميراميس، كليوباطرة، السويس، الإسكندرية، أبو الهول، الخديوي، النيل، أسوان، وغيرها.

كانت أحلام اسماعيل تهدف إلى جعل مصر قطعة من أوروبا. فاختار مدينة الإسكندرية لتنفيذ ذلك الحلم وبذل الكثير من أموال الشعب المصري لتحسين شوارعها وتشجيع النهضة العمرانية والاقتصادية والثقافية فيها. فنشطت الصحافة والترجمة والتأليف إلى جانب مشروعات أدبية أخرى. فأصبحت الإسكندرية قطباً جاذباً لكثير من الصحفيين ورجال التجارة والبنوك والأعمال، خاصة اللبنانيين منهم[1]، ووقفت «الأهرام» إلى جانب الخديوي، ونشطت مطابعها، وأصدرت «صدى الأهرام» الأسبوعية الواسعة الانتشار. وكانت أشبه بجريدة رسمية للدولة توزع مجاناً على كثير من الموظفين ونخبة من رجال الأعمال[2]

(*) الجامعة اللبنانية ـ بيروت

وانتقلت حركة الطباعة ونشر الصحف إلى القاهرة حيث عرفت ازدهاراً كبيراً، إثر اندلاع ثورة أحمد عرابي وتوقف نشاط اللبنانيين والسوريين في إصدار الصحف بالاسكندرية[3].

لم يعمل الصحافيون اللبنانيون في مصر ضمن اتجاه سياسي واحد. ففي حين ارتبط بعضهم بالسلطة المصرية، وبالاحتلال البريطاني بعد 1882. كانت صحف أخرى أشرف على إصدارها مثقفون لبنانيون كبار من أمثال فرح أنطون، ونقولا حداد، ورفيق جبور، وأنطون مارون، وغيرهم تأخذ طابع المعارضة العنيفة للسلطة المصرية والبريطانية معاً، وتدافع عن مصالح الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني وأعوانه[4] وقد دفع أنطون مارون ورفيق جبور حياتها ثمناً لتلك المواقف الجريئة.

لكن الصحافة السياسية لم تحتل سوى حيز بسيط من مجموع الصحافة التي أصدرها اللبنانيون في مصر والتي تعددت أسماؤها بحيث بات من الصعب إيجاد كلمات مناسبة تصلح عناوين للصحف الجديدة. فقد توسع إصدار الصحف والمجلات في مختلف الاتجاهات الإدارية، والحقوقية، والصناعية، والزراعية، والطبية، والتاريخية، والثقافية، والأدبية، والرياضية، والعلمية، بالإضافة إلى صحف التسلية والمجلات المصورة وغيرها. ورغم تمركز تلك الصحف والمجلات في القاهرة والإسكندرية بشكل خاص، فإن بعضها صدر، ولفترة محدودة، في المنصورة، وطنطا وبنها، ووصل بعضها إلى الخرطوم. انقسم الصحافيون اللبنانيون على معظم الاتجاهات السياسية العاملة في الصحافة المصرية، بما فيها الاتجاه العثماني. لكن الغالبية الساحقة منهم فضّلت الاتجاه الموالي للخديوي والمرتبط مباشرة بالانكليز، والاتجاه الموالي للفرنسيين، ووقف قسم ضئيل منهم مناهضاً للفرنسيين والانكليز والخديوي معاً وارتبط وثيقاً بالحركة الوطنية المصرية.

معظم الصحفيين اللبنانيين لم يهتموا بالسياسة بل انصرفوا إلى الصحافة الأدبية والفنية والعلمية وصحافة التسلية. وتمكنت دار الهلال من إدخال أحدث الآلات الطباعية الأوروبية إلى مصر منذ عام 1921 فشكلت بداية حقيقية لنهضة صناعية كبرى في مجال الطباعة والصحافة المصرية، إذ تمكنت دار الهلال من إصدار ست مجلات نالت شهرة واسعة بمعدل مجلة كل يوم على مدار الأسبوع وهي «المصور»، «كل شيء»، «الدنيا»، «الكواكب»، «الاثنين»، و«إيماج Image»، بالإضافة إلى مجلة الهلال[5]. يتضح من ذلك أنه من الصعب الإحاطة بالصحافة اللبنانية في مصر خلال سبعين عاماً من الاحتلال البريطاني لها. وكل ما نرجوه في هذه الدراسة التعريف الكافي بحركة الإصدار والنشر التي شهدتها الصحافة اللبنانية في وادي النيل إبان تلك المرحلة.

البدايات الأولى من الإسكندرية:

تشير المصادر التاريخية لمرحلتي الخديوي اسماعيل وتوفيق إلى ارتباط ولادة الصحافة التي آنشأها «الشوام» في مصر بالسياسة التي اتبعها اسماعيل لتغريب مصر، والتي قادت إلى الاستدانة، واستدعت الرقابة المالية الأوروبية، والتشدد في جباية الضرائب لتسديد القروض، ومن ثم إلى الثورة الشعبية العارمة في الإسكندرية بقيادة أحمد عرابي، واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882. لذلك يندرج دور الشوام في مصر، ومنهم أعداد كبيرة من اللبنانيين، في إطار الموقع الاقتصادي والاجتماعي لهم كحلقة وصل بين الاحتلال البريطاني والشعب المصري[6]. وليس صدفة أن تتم ولادة أول صحيفة للشوام في القاهرة عام 1866، أي قبيل تدشين قناة السويس بمهرجان عالمي شاركت فيه شخصيات دولية برعاية الخديوي اسماعيل. فقد أسس حبيب غرزوزي بالاشتراك مع عبد الله أبو السعود صحيفة «وادي النيل»، وأصدرها في القاهرة عام 1866. وفي العام التالي نقل أحمد فارس الشدياق جريدة «الجوائب» من الآستانة إلى القاهرة. وتوقف إصدار الشوام للصحف والمجلات في مصر حتى عام 1873 عندما أصدر سليم الحموي صحيفة «الكوكب الشرقي» في الإسكندرية. وفي 27 كانون الأول 1875 حصل بشارة وسليم تقلا على ترخيص بصحيفة «الأهرام»، لكن العدد الأول منها لم يصدر حتى 5 آب (أغسطس) 1876 في الإسكندرية. وفي عام 1877 أصدر أنيس خلاط «حقيقة الأخبار» في القاهرة في الوقت الذي أصدر فيه أديب إسحاق بالاشتراك مع سليم النقاش صحيفة «مصر»، وأصدر سليم وبشارة تقلا صحيفة «الوقت» في الإسكندرية. وفي عام 1878

أصدر أديب إسحق في الإسكندرية صحيفة «التجارة»، وأصدر سليم الحموي جريدة فيها باسم «الإسكندرية». وفي عام 1880 أصدر سليم النقاش بالاشتراك مع أديب إسحق صحيفة «المحروسة» في الإسكندرية، في حين أصدر فيها سليم النقاش منفرداً صحيفة «العصر الجديد». وفي عام 1881، أي قبيل الاحتلال البريطاني مباشرة لمصر، أصدر روفائيل مشاقة صحيفة «الاتحاد المصري» في الإسكندرية، وأصدر أديب إسحق بالاشتراك مع أخيه عوني صحيفة «مصر» بالإسكندرية أيضاً. كما أصدر في العام نفسه أمين ناصيف صحيفة «الصادق» في القاهرة.

هكذا كانت البدايات الأولى لصحافة الشوام في مصر من الإسكندرية رغم أن الصحيفة الأولى والثانية صدرتا من القاهرة خلال عامي 1866، 1867، ثم توقف إصدار الشوام للصحف في وادي النيل حتى عام 1873 حين بدأت مرحلة تاريخية بالغة الأهمية في تطور الصحافة المصرية استمرت قرابة سبعين عاماً دون انقطاع، وبلغت أوجها في مطلع القرن العشرين.

تجدر الإشارة إلى أن إصدار الصحف في الإسكندرية والقاهرة قد ارتبط بأسماء بارزة من الشوام الذين ساهموا بإصدار أكثر من صحيفة ومجلة. أبرز تلك الأسماء آل تقلا، وآل إسحق، وآل النقاش، وآل الحموي، وآل مشاقة، وآل ناصيف، وآل خلاط وغيرهم. ويلاحظ أن بعضهم أصدر أكثر من صحيفة ومجلة، في القاهرة أو في الإسكندرية. وحملت مرحلة البدايات ولادة 14 صحيفة جديدة، أو منقولة من الخارج إلى مصر، منها 10 في الإسكندرية وحدها و4 في القاهرة. ولم يلحظ أي وجود لصحافة الشوام في باقي المدن المصرية خلال تلك المرحلة، ولم تتوسع صحافتهم آنذاك إلى الخرطوم إلا بعد دخول البريطانيين إلى السودان واستقرارهم فيه. وعندما اندلعت الثورة العرابية في الإسكندرية تعرضت صحيفة الأهرام إلى اعتداءات مباشرة بسبب مواقفها المؤيدة للأوروبيين والمناهضة للجماهير الشعبية المصرية. فأصيبت مكاتبها ومطابعها بأضرار فادحة، وتوقفت عن الصدور، وفرَّ آل تقلا إلى جبل لبنان ليعودوا بعد فترة إلى إصدار «الأهرام» من القاهرة وما زالت تصدر حتى الآن. ورغم أن غضبة الجماهير المصرية تكررت في مناسبات عدة ضد أكثر من صحيفة موالية للإنكليز أصدرها الشوام في مصر، وتحديداً ضد الصحف التي أصدروها في وادي النيل كانت تندرج في إحصاء المجلات والصحف غير السياسية. ولم تقتصر صحفهم، منذ البداية، على جانب واحد أو اتجاهات واحدة. كما أن صحفهم السياسية توزعت على جميع التيارات الفاعلة على الساحة المصرية وكان لها الدور الأهم في تأطير المصريين واصطفافهم كتلاً سياسية توالي أو تعارض الاحتلال البريطاني لمصر.

مرحلة التوسع والازدهار :1882 - 1916[7]

تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاث حقبات تبعاً لعدد إصدار الصحف والمجلات فيها.

الحقبةالأولى :1882 - 1893

أبرز سماتها أن الشوام حافظوا فيها على وتيرة واحدة في إصدار صحف جديدة بمعدل لم يتدن عن صحيفة واحدة ولم يتجاوز خمس صحف في العام الواحد.

ففي عام 1882، عام الاحتلال، وقبل هروبهم من الإسكندرية، أصدر الأخوان سليم وبشارة تقلا صحيفة «الأحوال» فيها. لكن الثورة العارمة كانت تلوح في الأفق قبيل ذلك التاريخ. فاتجه الشوام إلى القاهرة بدلاً من الإسكندرية. فأصدر ميخائيل جرجس العورا صحيفة «الحضارة»، وأصدر خليل اليازجي وأمين ناصيف معاً صحيفة «مرآة الشرق» وكلتاهما في القاهرة عام 1882.

لم يحمل العام التالي أية صحيفة جديدة. في حين شهد عام 1884 ولادة صحيفة «البيان» في القاهرة على أيدي ميخائيل العورا ويوسف سيف، ونقل يعقوب صروف وفارس نمر «المقتطف» من بيروت إلى القاهرة. وفي عام 1885 أصدر جرجس

النحاس «الجريدة المصرية» في القاهرة، وأصدر سليم فارس الشدياق فيها صحيفة حملت اسمها «القاهرة». وولدت أربع صحف جديدة في القاهرة عام 1886 هي «الحقوق» لإميل الشميل وابراهيم الجمّال، و«الشفاء» لشبلي الشميّل، و«اللطائف» لشاهين مكاريوس، و«المحروسة» مجلة جديدة ليوسف همام آصاف. وبدأت صحافة الشوام تستعيد دورها في الاسكندرية منذ عام 1887 واستقرار الأوضاع فيها فأصدر نجيب غرغور «الببغاء» ذلك العام. ثم أصدر غرغور نفسه «المنارة» و«حديقة الأدب» في الاسكندرية أيضاً عام 1888 في حين أصدر يوسف همام آصاف «جريدة المحاكم» في القاهرة، وخليل زينية «الراوي» في الاسكندرية، وأصدر محمد باشا المخزومي في «الرياضة السورية» في القاهرة في العام نفسه. وشهد عام 1889 ولادة ثلاث صحف جديدة واحدة في الاسكندرية هي «الحقيقة» لجورج ميرزا؛ بالاشتراك مع فرج مزراحي، واثنتان في القاهرة هي «المقطم» ليعقوب صروف وفارس نمر، وLa Jurisprudence بالفرنسية ليوسف همام آصاف. ولم تصدر سوى صحيفة جديدة واحدة عام 1890 هي «المحاكم» ليوسف همام آصاف في القاهرة ولعلها الترجمة لصحيفته الفرنسية.

ظهرت أربع صحف جديدة عام 1891 منها واحدة في الاسكندرية هي «أبو نؤاس» للأخوين يوسف والياس كنعان، وثلاثة في القاهرة هي «الزراعة» لأيوب عون، و«كنز الزراعة» لحبيب فارس، و«الفوائد الصّحية» للدكتور شلهوب. وشهد عام 1892 ولادة ثلاث صحف أخرى جديدة منها واحدة في الاسكندرية هي «الفتاة» لهند نوفل، واثنتان في القاهرة هي «الفتى» لاسكندر شلهوب، ومجلة «الهلال» لجرجي زيدان.

وبرزت ثلاث صحف جديدة أخرى في العام التالي 1893 منها أيضاً واحدة في الاسكندرية هي «الثمرة» لأنطونيوس منصور، واثنتان في القاهرة هما «أبو الهول» لنجيب الحاج، بالاشتراك مع نجيب كنعان، و«الرأي العام» لاسكندر شلهوب بالاشتراك مع نجيب الحاج.

هكذا شهدت هذه الحقبة تبدلاً جذرياً في اتجاه الشوام لإصدار صحف جديدة. ففي حين كانت نسبة الصحف التي أصدروها في الاسكندرية أكثر من ضعفي الصحف التي أصدروها في القاهرة (نسبة 10 إلى 4 في المرحلة السابقة) فإن النسبة الجديدة بلغت 22 صحيفة ومجلة في القاهرة مقابل 9 فقط في الاسكندرية خلال سنوات 1882 - 1893.

يلاحظ أن ثورة عرابي لعبت دوراً بارزاً في هذا التغيير فباستثناء صحيفة «الأحوال» التي أصدرها آل تقلا قبيل الثورة فإن سنوات 1882 حتى 1886 لم تشهد ولادة أية صحيفة في الاسكندرية. وبقيت النسبة الغالبة خلال تلك الحقبة على أساس صحيفة واحدة في الاسكندرية مقابل صحيفتين أو أكثر تصدران في القاهرة. وبرزت أسماء عائلات جديدة في عالم الصحافة منها صروف، ونمر، وشلهوب، وآصاف، وغرغور، وزينية، وكنعان، ونوفل، والحاج، وعون وغيرها.

ويلاحظ كذلك اتساع حقول الصحافة اللبنانية هناك لتطال جوانب جديدة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مصر أبرزها الاهتمام بالفتى، والفتاة، والرأي العام، والزراعة، والصحة، والمحاكم، والرياضة، بالإضافة إلى موضوعات سياسية، وتاريخية، وروايات، وفكاهة، وأدب، وتسلية.

الحقبة الثانية أو الحقبة الذهبية :1894 - 1903

بعد أكثر من عشر سنوات على فرض الاحتلال البريطاني لمصر بات واضحاً أن الاستعمار البريطاني ثبّت أقدامه عليها بناءً على اتفاق ودي مع منافسه الأساسي، الاستعمار الفرنسي، وعمل على توسيع رقعة نفوذه لتشمل السودان على قاعدة الوحدة التاريخية لوادي النيل التي أنجزت في ظل هذا الاستعمار. فبعد سنوات قليلة على احتلال مصر وبمساعدة مباشرة من الأسرة الخديوية والجيش المصري التابع لها، احتلت بريطانيا السودان.

في هذه الحقبة بالذات انفتحت أبواب الهجرة اللبنانية إلى مصر والسودان على مصراعيها وقاربت أعداد المهاجرين الشوام حوالى المئة ألف مهاجر، وهو رقم كبير بالمقارنة مع عدد سكان مصر من جهة، وعدد السكان في الولايات السورية وجبل لبنان من جهة ثانية. وشهدت مصر كذلك هجرات كثيفة وتشكلت جاليات من اليونان، والأرمن، والسريان، والفرنسيين،

والانكليز، والألمان، وغيرهم. ونشطت حركة الصحافة، والطباعة، والمدارس، والمسرح، والترجمة، والشعر، والأدب، والفنون، وغيرها من النشاطات الثقافية والفنية إلى جانب ازدياد هائل في حجم المؤسسات التجارية والصناعية والإصلاح الزراعي. ولا يتسع المجال هنا لإبراز ذلك النشاط بل سنبرز فقط النهضة العارمة في مجال الصحافة خلال هذه الحقبة التي لقبت بالعصر الذهبي للصحافة اللبنانية في مصر. فبالإضافة إلى عدد كبير من الصحف التي أسست سابقاً واستمرت في الصدور، ظهرت صحف جديدة، وأعيد إصدار صحف متوقفة. والإحصاء التالي يبرز بوضوح مظاهر تلك الحركة في تسلسلها الزمني ما بين 1894 - 1903.

1894: صدرت خمس صحف أو مجلات منها واحدة في القاهرة فقط هي «الأمة» لسليم حبالين، وأربع في الاسكندرية هي: «المشير» لسليم سركيس، و«المتحف» للأخوين قسطنطين ويعقوب نوفل، و«الابتسام» لروفائيل مشاقة ونجيب غرغور، و«لسان العرب» للأخوين نجيب وأمين الحداد بالاشتراك مع عبده بدران. سجل ذلك العام بداية كبرى لعودة النشاط الصحفي للشوام في الاسكندرية أكثر من القاهرة نظراً لعلاقتها المباشرة مع الحركة الثقافية الأوروبية، ووجود الجاليات الأوروبية فيها بشكل أساسي، وتحولها إلى مركز لاصطياف البورجوازية القاطنة في مصر من مختلف الجنسيات. ورغم النشاط الكثيف الذي أبرزه هذا الإحصاء فإن القاهرة، خلال تلك الحقبة، بقيت المركز الأساسي لحركة الطباعة، والصحافة، والنشر في مصر في حين احتلت الاسكندرية على الدوام المركز الثاني بين المدن المصرية.

1895: شهد ولادة عشر صحف للشوام في مصر منها ثلاث في الاسكندرية هي «ابو النواس» لنجيب غرغور، «العالم الجديد» لنجيب غرغور أيضاً، و«حظ الحياة» لسليم وإبراهيم رومانوس، مقابل سبع صحف في القاهرة هي: «الإخلاص» لابراهيم عبد المسيح، و«السيّار» ليوسف كنعان، و«صدى الشرق» لإميل بربر، و«طبيب العائلة ورشيد اللبيب» للدكتور الفريد عيد، و«العدل» لسليم حبالين، و«الكنانة» لشاكر شقير بالاشتراك مع نجيب متري، و«النبراس» لنجيب جاويش بالاشتراك مع حسيب كرامة.

1896: شهد ولادة إحدى عشرة صحيفة منها اثنتان فقط في الإسكندرية هما «فصل الخطاب» لطانيوس عبده، و«الكرباج والعفريت» لعبد الله المقدسي. أما الصحف التي صدرت في القاهرة ذلك العام فهي «الأخبار» للشيخ يوسف الخازن، و«الثريا» لإدوار جدّي، و«الرائد المصري» لنقولا شحادة، و«الشرق» لأمين شدياق بالاشتراك مع توفيق عزوز، و«الغزالة» لنقولا بولاد، و«الفردوس» للويزا حبالين، .و«الكوثر» لاسكندر دبّانة، و«مرآة الحسناء» لمريم مزهر ويعتقد بأنه الاسم المستعار لسليم سركيس، و«الوظيفة» لسليم حبالين.

1897: صدرت في هذا العام خمس صحف جديدة منها واحدة فقط في الاسكندرية هي «البصير» لرشيد الشميّل مقابل أربع صحف في القاهرة هي «الأثر» لعلي سلام، و«البيان» لابراهيم اليازجي، و«تركيا» لقيصر كرم، و«الكهرباء» لسليم سركيس.

1898: شهدت الاسكندرية ولادة سبع صحف جديدة مقابل خمس صحف صدرت في القاهرة. بعض هذه الصحف جديد وبعضها الآخر متجدد أو منقول بين القاهرة والاسكندرية.

أما صحف الاسكندرية فهي «أبو نؤاس» ليوسف والياس كنعان، و«أنيس الجليس» للأميرة الكسندره خوري افرينوه Avrione´، و«تسلية الخواطر» لسبع الشميّل، و«الرقيب» لنجيب ابراهيم طراد، و«السعادة» لعبد الفتاح بيهم، و«السلام» لنجيب الحداد بالاشتراك مع غالب طليمات، و«العثماني» لأمين الخوري بالاشتراك مع نقولا رزق الله. أما صحف القاهرة الخمس فهي «الضياء» لابراهيم اليازجي، و«الفكاهة» لديمتري نقولا، و«القمر» لجرجي طنوس، و«مصر» للشيخ محمد رشيد رضا الذي أصدر أيضاً في هذا العام مجلة «المنار» التي لعبت دوراً بارزاً في الصحافة المصرية خاصة والعربية عامة. ويلاحظ خلال عامي 1897 - 1898 صدور صحيفتين باسم «تركيا» و«العثماني» أصدرهما مسيحيون لبنانيون، واحدة في الاسكندرية وأخرى في القاهرة.

1899: يلاحظ من أسماء بعض الصحف القديمة أنها تصدر مجدداً لمالكين جدد أو تنتقل بين القاهرة والاسكندرية. فبلغ عدد صحف اللبنانيين الجديدة أو المتجددة في هذا العام ثمانٍ منها خمس في القاهرة هي: «ادريس» لخليل بتراكي عورا، و«استير مويال» لصاحبتها بالاسم نفسه وهي يهودية كما يدل اسمها و«العيان» لنجيب الحداد، و«العائلة» لإستير مويال، و«الكوثر» لجورج طنوس.

أما صحف الاسكندرية الثلاث فهي «الآمال» لنجيب غرغور، ومجلة «الجامعة» لفرح انطون التي لعبت دوراً رائداً في الصحافة العربية، و«صدى الأهرام» لسليم وبشارة تقلا.

1900: اللافت للنظر في صحف هذا العام الخمس، أنها صدرت جميعها في القاهرة وهي: «الخزانة» للشيخ يوسف الخازن، و«الغزالة» لإدوار قرألي، و«المجلة المصرية» للشاعر خليل مطران، و«المصباح الجديد» لابراهيم نجار بالاشتراك مع سمعان سعادة، و«النصر الجديد» لاسكندر شلهوب.

1901: صدرت سبع صحف جديدة منها خمس في القاهرة واثنتان في الاسكندرية هما «الصباح» لعبدة بدران، و«المجلة الماسونية» ليوسف لفلوفة.

أما صحف القاهرة فهي «الابتسام» لجورج واسحق يارد، و«تحرير سوريا» لجورج عساف، و«الخزّان» لنجيب هاشم، و«صدى لبنان» لسجعان عارج سعادة، و«المرأة» لأنيسة عطاالله.

1902: شكل ذروة النهضة الصحفية للبنانيين في مصر وذلك بولادة اثني عشرة صحيفة جديدة أو متجددة منها أربع في الاسكندرية وثمانٍ في القاهرة.

صحف الاسكندرية هي «الإعلان» لأمين الخوري، و«الرجاء» لألبرت أسود، و«الزهرة» لمريم سعد، و«المصور» لخليل زينية.

وصحف القاهرة هي: «الأقلام» لجورج طنوس بالاشتراك مع محمود المنفلوطي، و«بريد الأمة» للشيخ يوسف الخازن، و«الروايات الشهيرة» ليعقوب الجمّال، و«السعادة» لروجينا عواد، و«الطب الحديث» لألفريد عيد، و«الغزالة» ليعقوب الجمّال، و«الكلمة الحرة» لابراهيم سليم النجار، و«مرآة الأيام» لابراهيم لفلوفة.

1903: شهد هذا العام أول صحيفة للبنانيين في السودان أصدرها فارس نمر وشركاه في الخرطوم بالإضافة إلى سبع صحف جديدة منها خمس في الاسكندرية واثنتان فقط في القاهرة هما «الجوائب المصرية» «خليل مطران»، و«الطرائف» لرشيد مصوبع.

أما صحف الاسكندرية فهي «الزمار» التي أصدرها شاهين الخازن بالاشتراك مع طانيوس عبده، ثم اختلفا فأصدرها مجدداً في العام نفسه شاهين الخازن مع نسيم العازار. و«الرجاء» لتوفيق رزق الله وجرجي حبيب، و«السيدات والبنات» لروز انطون، و«الشرق» لحنا جاويش بالاشتراك مع طانيوس عبده، و«الطغراء» لجورج إسحق يارد.

هكذا تعتبر هذه الحقبة بحق العصر الذهبي للصحافة اللبنانية في مصر. فخلال عقد واحد من الزمان أسس اللبنانيون هناك 83 صحيفة أو مجلة، جديدة أو متجددة، في القاهرة والاسكندرية تضاف إليها صحيفة واحدة في الخرطوم كأول انطلاقة للصحافة اللبنانية خارج مصر من جهة، وتحديداً خارج القاهرة والاسكندرية. وستشهد السنوات القادمة ولادة صحافة لبنانية في مدن مصرية أخرى، لكنها ولادة ضعيفة وغير مستقرة.

ويلاحظ خلال هذه الحقبة أن الاسكندرية شهدت ولادة 31 صحيفة لبنانية مقابل 51 صحيفة في القاهرة وذلك رغم الفارق العددي الكبير بين سكان كل من المدينتين. دلالة ذلك أن الاسكندرية قد استقطبت العمل الصحافي بشكل بارز حتى ان بعض السنوات شهدت ولادة صحف جديدة فيها أكثر من القاهرة. أضف إلى ذلك أن سنوات هذه الحقبة عرفت ازدهاراً لم تشهده سنوات المرحلة اللاحقة إلا نادراً. ولم تتدن نسبة الصحف الجديدة عن الخمس في العام الواحد في حين لم تشهد السنوات اللاحقة ولادة خمس صحف أو أكثر في العام الواحد إلا مرتين في عام 1909 وفي عام 1912 وذلك طيلة

المرحلة ما بين 1904 ونهاية الحرب العالمية الأولى 1918. كما أن سنوات المرحلة الممتدة ما بين الحربين العالميتين ستعرف بعض الازدهار في سنوات قليلة لكنها تبقى بعيدة جداً عن أرقام الحقبة الذهبية للصحافة اللبنانية في مصر والتي استخدمت عناوين كثيرة بحيث بات يصعب إيجاد أسماء جديدة تسمى بها الصحافة هناك. لذا يلاحظ تجديد بعض العناوين القديمة، وإعادة إحياء صحافة أنشئت في الحقبة الذهبية ثم توقفت عن الصدور أو تغير مالكوها أو مصدروها. ومتابعة هذا الجانب لتطور الصحافة اللبنانية في مصر تحتاج إلى دراسة مستقلة وإلى رصد دقيق لتاريخ إصدار كل صحيفة أو مجلة، ثم توقفها، فإعادة إصدارها مجدداً أو مراراً.

الحقبة الثالثة :1904 - 1918

تمتد هذه الحقبة من مرحلة الازدهار الكبير للصحافة اللبنانية في مصر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وانهيار السلطنة العثمانية فانهار معها الارتباط الشكلي للأسرة الخديوية في مصر بالسلطنة وارتبطت مباشرة بالإنكليز وتحددت معالم السياسة المصرية كدولة خاضعة للسيطرة البريطانية دون سواها.

عام 1904 ولدت أربع صحف أو مجلات جديدة أو مجددة: اثنتان في القاهرة هما «الحوادث» لنجيب عواد و«السياسة» ليوسف كسّاب، واثنتان في الاسكندرية هما «المباحث» للخوري جرجس فرج صفير، و«النور» لفارس مشرق بالاشتراك مع داود مجاعص. وفي عام 1905 ظهرت صحيفتان جديدتان هما «الروايات الشهيرة» ليعقوب الجمّال، و«مجلة سركيس» لسليم سركيس وكلتاهما في القاهرة. أما عام 1906 فشهد ولادة أربع صحف منها اثنتان في الاسكندرية: «الحقيقة» لنعيم صوايا، و«رجع الصدى» للشيخ نجيب العازار، واثنتان في القاهرة هما «فتاة الشرق» للبيبة هاشم و«الكلمة الحقّة» لابراهيم سليم النجار. ولم يشهد عام 1907 ولادة أية صحيفة أو مجلة جديدة في حين برزت صحيفة واحدة في القاهرة عام 1908 هي «المباحث السياسية المصورة» لحسين شفيق.

إثر إعلان الدستور العثماني عرفت الصحافة اللبنانية ازدهاراً ملحوظاً في ولاية بيروت وجبل لبنان والمناطق المجاورة لهما وصولاً إلى مصر وباقي أرجاء السلطنة العثمانية. كان نصيب مصر سبع صحف ومجلات جديدة أو مجددة منها واحدة فقط في الاسكندرية هي «الراوي» لطانيوس عبده، وست في القاهرة هي: «الإقدام» لحنا سيدهم بالاشتراك مع نجيب كرم، و«مجلة جمعية الاتحاد اللبناني» لجمعية الاتحاد اللبناني، و«الصاروخ» لجرجي خليل معوض، «وفرعون» لحبيب جاماتي، و«مرشد الأطفال» لانجلينا أبو شعر، و«المقطم الأسبوعي» ليعقوب صروف بالاشتراك مع فارس نمر وشاهين مكاريوس. عام 1910 ولدت أربع صحف كلها في القاهرة هي: «الروايات الجديدة» لنقولا رزق الله، و«الزهور» لأنطون الجميّل، بالاشتراك مع أمين تقي الدين، و«الكائنات» للارشمندريت باسيليوس الحاج، و«الوطني» لمحمد القلقيلي بالاشتراك مع أيوب صبري وقد نقلاها من بيروت إلى القاهرة.

عام 1911 ظهرت أربع صحف أيضاً منها واحدة فقط في الاسكندرية هي «السمير» لقيصر الشميّل، وثلاث في القاهرة هي «الرابطة» لمتخرجي الكلية العلمانية، و«الرقيب» لجورج طنوس، و«المعتدل» لعزيز سليم صعب.

في عام 1912 برزت خمس صحف أو مجلات منها أربع في مصر وواحدة في الخرطوم هي «الرائد» لفؤاد الخطيب بالاشتراك مع جميل الرافعي، وهي ثاني صحيفة يصدرها اللبنانيون في القطر السوداني. ويلاحظ بين الصحف الأربع الصادرة في مصر ذلك العام صحيفة في مدينة المنصورة، وهي أول صحيفة يصدرها اللبنانيون في مصر خارج القاهرة والاسكندرية نظراً لأهمية المنصورة التي كانت أحد المراكز الأساسية لنفوذ الشوام في مصر، خاصة اللبنانيين منهم. وسميت الصحيفة باسم «الدلتا» وكان مصدّرها وديع شيخاني بالاشتراك مع آرنست داود اسكندر. وفي ذلك العام أصدرت الكسندرا خوري افرينوه صحيفة «الإقدام» في الاسكندرية، وأصدر أمين عطاالله صحيفة «المجنون» في القاهرة، وألفرد خوري صحيفة «مسامرات الملوك» في القاهرة أيضاً.

عام 1913 تعزز الاتجاه لإصدار صحف ومجلات خارج مصر فصدرت أربع صحف جديدة منها واحدة في الخرطوم أصدرها عبد الرحيم قليلات باسم «رائد السودان»، وواحدة في طنطا أصدرها قسطنطين سعادة باسم «الشرائع». وأصدر جورج اسحق يارد «السهام» في القاهرة ثم نقلها إلى البرازيل. كذلك أصدر رزق الله سركيس بالاشتراك مع خليل كسيب «الخليل» في الاسكندرية.

قبيل الحرب العالمية الأولى مباشرة أصدر اللبنانيون ثلاث صحف في القاهرة عام 1914 ولم تصدر أية صحيفة خارجها، لا في الاسكندرية وباقي المدن المصرية، ولا خارج مصر. الصحف الثلاث هي: «إقرأني» للأمير فريد شهاب، و«المرآة» لخليل زينية بالاشتراك مع أحمد ابراهيم فودة، و«ملحق المقطم المصوّر» ليعقوب صروف بالاشتراك مع فارس نمر وشاهين مكاريوس. وفي عام 1915 أصدر اللبنانيون أربع صحف منها واحدة في الاسكندرية هي «الأمة» لتوفيق طنوس وثلاث في القاهرة هي: «تقويم الشرق» لهنري مدور، و«اللطائف المصورة» لاسكندر مكاريوس، و«المنبر» لجورج طنوس.

في عام 1916 لم يصدر اللبنانيون في مصر سوى صحيفة واحدة هي «الزهرة» لنعوم مغبغب في القاهرة، ولم يشهد عام 1917 ولادة أية صحيفة جديدة أو متجددة. في عام 1918، عام انتهاء الحرب العالمية الأولى عرفت القاهرة ولادة صحيفة جديدة باسم «لبنان الفتى» أصدرها حبيب جاماتي وهي الصحيفة الوحيدة التي أصدرها اللبنانيون في مصر والسودان ذلك العام.

يتضح من محصلة هذه الحقبة أن عدد الصحف والمجلات التي أصدرها اللبنانيون في مصر والسودان أو جددوها هناك بلغت 44 صحيفة ومجلة كانت حصة القاهرة منها 31 مقابل 9 في الاسكندرية واثنتان في الخرطوم، وواحدة في المنصورة وواحدة في طنطا. أي أن القاهرة احتكرت قرابة 70% من مجموع إصدار صحف الشوام خلال تلك المرحلة، وتقلصت نسبة الاسكندرية إلى حوالى 20% منها، وبرزت صحف جديدة خارجها خاصة في الخرطوم ومراكز تجمع اللبنانيين في المنصورة وطنطا.

ويلاحظ في هذه الحقبة بروز أسماء رجال دين مسيحيين في قائمة مصدري الصحف والمجلات في مصر. ظاهرة نقل صحف من القاهرة إلى البرازيل التي تدل على كثافة إصدار الصحف والمجلات في مصر بحيث لم يعد ذلك الإصدار مربحاً مما حدا ببعض اللبنانيين إلى نقلها خارج مصر نحو القارة الأميركية. وبرزت أيضاً الصحف الناطقة باسم الجمعيات الأدبية والثقافية، وباسم التجمعات أو النوادي السياسية، بالإضافة إلى ظاهرة إصدار الملاحق المصوّرة في الصحف والمجلات الكبرى.

لكن الظاهرة الأهم أن مجموع إصدار هذه الحقبة التي امتدت 15 عاماً بلغ 44 صحيفة ومجلة مقابل 83 للحقبة الذهبية السابقة التي امتدت عشر سنوات فقط. وإن سنتين من سني هذه الحقبة هما 1907 و1917 لم تشهدا ولادة أية صحيفة أو مجلة. كما أن المعدل الوسطي لإصدار الصحف كان دون الثلاث في العام الواحد مقابل أكثر من ثماني صحف في العام للحقبة الذهبية السابقة. يضاف إلى ذلك أن عدداً من صحف الحقبة الأخيرة لم يكن جديداً بالكامل بل إعادة تجديد لصحف كانت تصدر سابقاً. وبرزت القاهرة كعاصمة الإصدار الصحفي للبنانيين في مصر وتعزز دورهم طيلة فترة الإحتلال البريطاني لها.

الصحافة اللبنانية في مصر إبان الحكم البريطاني المباشر: 1919 - 1952[8]

مع انهيار السلطنة العثمانية ومن ثم زوال الخلافة الإسلامية انفردت بريطانيا بحكم مصر والسودان دون أية قيود، ولو شكلية، عليها. وانحسرت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي شغلت الصحافة المصرية سنوات طويلة في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وانفجر الصراع الحاد بين القوى الوطنية المصرية ممثلة بأحزابها ونقاباتها ونواديها السياسية

والمهنية والنقابية من جهة، وبين الاستعمار البريطاني المتحالف وثيقاً مع الأسرة الخديوية وكبار الملاكين المصريين والبورجوازية المتعددة الجنسية العاملة على الأراضي المصرية والمرتبطة تبعياً بمراكز الرساميل العالمية.

شكلت البورجوازية اللبنانية في مصر والسودان إحدى المراكز الأساسية للقوة المتعاونة مع الانكليز لامتصاص خيرات الشعب المصرية وإفقاره متحالفة مع جاليات أجنبية فاعلة على الساحة المصرية. ولا يتسع المجال لتحليل جدلية العلاقة بين تلك القوى والإعلام المعبر عنها في الصحف والمجلات والنوادي والجمعيات بل نكتفي بتقديم لوحة موثقة حول أبرز تلك الصحف استناداً إلى تاريخ إصدارها.

لم يشهد عام 1919 ولادة أية صحيفة أو مجلة جديدة أو مجددة في مصر أو السودان. وفي عام 1920 صدرت جريدة واحدة في القاهرة هي «رقيب البلابل» لاسكندر شلفون. وصدرت أربع صحف عام 1921 جميعها في القاهرة هي: «الاستقلال» لمحمد عزمي وجبرائيل بشارة تقلا، و«البرق» لعبد الله يزبك وأيوب نقاش، و«الروايات المصورة» لسليم خوري واسحق صروف، و«المضمار» لحبيب أسعد داغر.

عام 1922 ولدت أيضاً أربع صحف منها واحدة في الاسكندرية هي «الخليج» للارشمندريت اغناطيوس. وثلاث في القاهرة هي «القصص» لجورج وبترو طنوس، و«الملحق الروائي» لإسحق صروف، بالاشتراك مع سليم الخوري اللذين أصدرا أيضاً «النديم الروائي».

شهد عام 1923 نهضة صحفية متجددة فصدرت سبع صحف منها اثنتان في الاسكندرية هما «البصير القفائي» لشارل الشميّل، و«حيرام» لتوفيق طنوس. وصدرت خمس صحف في القاهرة هي «الألعاب الرياضية» لفؤاد غطاس، و«الأوتوموبيل» لنقولا حبيقة، و«الحوادث المصورة» لأنيسة صعب، و«العصر» ليوسف وعبد الله سلامة، و«القاموس العام» لحنا أبي راشد.

وشهد عام 1924 ولادة ثلاث صحف جميعها في القاهرة هي «تقويم المرأة» لخليل زينية، و«الشمس» لزكي رزق الله، و«المصور» لإميل وشكري زيدان.

وبرزت خمس صحف ومجلات عام 1925 منها واحدة فقط في الاسكندرية هي «المهذب» لجورج فرح، وأربع صحف في القاهرة هي «السلوى» لنسيب بشعلاني، «وكل شيء» لإميل وشكري زيدان، و«صحيفة الإعلانات» لأحمد شفيق باشا، و«المجلة الشهرية» لاسكندر مكاريوس بالاشتراك مع نجيب شاهين.

عام 1926 ولدت خمس صحف جديدة كلها في القاهرة هي «الصادرات والواردات» لجان سياج، و«العالم» لكريم خليل ثابت، و«العلوم والروايات المصورة» لسليم الخوري، و«الفكاهة» لإميل وشكري زيدان، و«المجلة البطريركية» للأب بولس قرألي الذي نقلها لاحقاً إلى بيروت.

برزت أربع صحف جديدة عام 1927 منها واحدة في الاسكندرية هي «الجرس» لجورج سمعان، وثلاث في القاهرة هي «الستار» لجمال الدين عوض بالاشتراك مع حبيب جاماتي، و«السهام» لجورج طنوس، و«مصر الجديدة» لتوفيق اليازجي. ولم يشهد عام 1928 سوى ولادة صحيفة واحدة هي «رواصد الشرق» لحنا أبي راشد التي صدرت في «بنها» وهو إصدار لافت للنظر خارج القاهرة والاسكندرية والمدن الأساسية لتجمع الشوام في مصر.

يعتبر عام 1929 آخر محطة في تاريخ الإصدار الصحفي المميز للبنانيين في مصر، ليبدأ الانحدار السريع لنهضتهم الصحفية في القطر المصري.

فقد صدر في ذلك العام خمس صحف أو مجلات كلها في القاهرة وهي: «رفيق المسافر» لنجيب كنعان، و«الدنيا المصورة» لإميل وشكري زيدان، و«الطبيب» لتوفيق مفرج بالاشتراك مع اسماعيل قريض، و«عالم السينما» لجورج منسى بالاشتراك مع حسن جمعة، و«ماتش» لأنطون سليم شنياره. بعد ذلك التاريخ تبرز فجوات كبيرة في تاريخ الصحافة اللبنانية في مصر. فبدأ المصريون يلعبون دوراً متزايداً في صحافة بلادهم بما يشبه «تمصير» الصحافة في مصر. فلم تصدر أية صحيفة أو مجلة جديدة

للبنانيين في مصر خلال عامي 1930 و1931. ويرجح أن ذلك الانقطاع على علاقة وثيقة بالأزمة العامة للرأسمالية العالمية خلال تلك المرحلة.

عام 1932 صدرت صحيفة جديدة واحدة في القاهرة هي «الأبطال» لإميل وشكري زيدان عن دار الهلال ولم تصدر أية صحيفة عام 1933 وقام الأخوان زيدان، ابنا جرجي زيدان بإصدار «الاثنين» عن دار الهلال في القاهرة وهي المجلة الوحيدة التي صدرت عام 1934، ومجلة واحدة عام 1935 هي «الراوي الجديد» التي أصدرتها ماري طانيوس عبدة في القاهرة أيضاً.

ثم ويلاحظ انقطاع حاد في إصدار الصحف والمجلات اللبنانية في مصر بعد ذلك العام إذ لم تصدر أية صحيفة أو مجلة جديدة طيلة سنوات 1936 - 1942. وصدرت صحيفة واحدة عام 1943 في القاهرة هي «المختار» لفؤاد صروف تبعها انقطاع حاد خلال سنوات 1944 و1945 و1946. وفي عام 1947 أصدر يوسف الديري في القاهرة صحيفة «الحق» تبعها انقطاع لسنة 1948. وفي عام 1949 صدرت صحيفتان في القاهرة هما «حقنا» لبطرس وديع كسّاب، و«روايات الأسبوع» لتوفيق الشمالي تبعها إصدار دار الأهرام في القاهرة لمجلة «الأهرام الاقتصادي» عام 1950. وفي عامي 1951 و1952 لم يصدر اللبنانيون أية صحيفة أو مجلة جديدة. وحتى عام 1955، أي في السنوات الأولى للثورة المصرية لم نلحظ سوى ثلاث صحف أو مجلات جديدة أصدرها اللبنانيون في القاهرة هي «حواء» لإميل شكري زيدان، و«القاهرة» لأسعد مفلح داغر عام 1953، و«حواء الجديدة» لإميل شكري زيدان عام 1955. يتضح من إحصائيات هذه المرحلة أنه خلال سنوات عديدة لم يصدر اللبنانيون صحفاً ومجلات جديدة، وأن القاهرة احتكرت الغالبية الساحقة من إصدار تلك المرحلة التي ناهزت 34 عاماً (1919 - 1952) من تاريخ مصر الحديث والمعاصر. بلغ إصدار القاهرة 41 صحيفة ومجلة من أصل 47 هي مجموع إصدار المرحلة. ولم تعرف الاسكندرية سوى خمس صحف جديدة أو مجددة وصحيفة واحدة في «بنها» لم تعمر طويلاً. دلالة هذا الإحصاء أن مجموع ما أصدره الشوام خلال هذه المرحلة زاد بقليل على إحصاء الحقبة الأخيرة للمرحلة السابقة (1904 - 1918)، لكنه لم يتجاوز سوى النصف بقليل إصدار الحقبة الذهبية (1894 - 1903). فقد كان لقيام دولة لبنان الكبير عام 1920 الأثر الواضح في عودة بعض الصحفيين اللبنانيين من مصر وإصدارهم الصحف والمجلات في لبنان، بالإضافة إلى هجرة أعداد منهم إلى القارة الأميركية وأستراليا وأوروبا. ولعبت الأزمة العامة للرأسمالية دوراً بارزاً في تقلص إصدار الصحف والمجلات في مصر ولبنان وغيرهما من البلدان العربية.

وكانت للحرب العالمية الثانية أيضاً نتائج هامة على هذا الصعيد بسبب ارتفاع أجور الطباعة وأسعار الورق. ولم تعد الصحافة عملاً فردياً كالسابق بل دخلت عصر الآلة والمكننة. وكان «لدار الهلال» الدور الأساسي في تحديث الصحافة المصرية إلى جانب «دار الأهرام»، و«دار المقطم والمقتطف»، وكلها من إصدار اللبنانيين في مصر. حتى ان دار الهلال كانت تصدر مجلة كل يوم على مدار أيام الأسبوع السبعة، وذلك على آلات حديثة وبأعداد كبيرة، وجاءت قرارات التأميم التي أصدرتها حكومة الثورة المصرية بعد عام 1960 لتنقل إلى الشعب المصري ثمرة يانعة لنشاط الشوام في مصر، خاصة اللبنانيين والسوريين منهم، في حقل الصحافة الذي برعوا فيه كثيراً وكان لهم الفضل الكبير في تحويل مصر إلى أهم المراكز الصحفية في الوطن العربي بالإضافة إلى علاقة وثيقة بين نهضة الصحافة في مصر ونهضتها في لبنان، وذلك على أكثر من صعيد. لكن السبب الأهم أن الصحافيين المصريين خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين وحتى اندلاع ثورة 1952 أصبحوا أسياد فن الصحافة في بلادهم وعملوا على تمصير الصحافة العاملة في مصر وطبعها بطابعهم فتقلص دور اللبنانيين والسوريين وباقي الشوام كما تقلص دور جميع الجاليات العاملة في مصر، خاصة الأجنبية منها. وبدأت مسيرة تحرير الإرادة المصرية والاقتصاد المصري من الانكليز والمتعاونين معهم وذلك لصالح البورجوازية المصرية بالدرجة الأولى.

بعض الملاحظات والاستنتاجات الختامية:

لعبت الصحافة دوراً بارزاً في ترقي اللبنانيين في مصر ساعدهم في ذلك اتقانهم لأكثر من لغة أجنبية، ولقيامهم بدور

الوساطة في نقل جانب هام من الثقافة الأوروبية إلى اللغة العربية. كانت الانطلاقة الأولى من بيروت وجبل لبنان حيث كانت تجاربهم الصحافية الأولى، ومنهم من مارس العمل الصحفي سنوات طويلة قبل انتقاله إلى مصر. كذلك ساعد الإرهاب الحميدي على تهجير أعداد كبيرة من الصحافيين والمثقفين اللبنانيين الذين وجدوا في وادي النيل متنفساً لهم يهاجمون منه السلطنة العثمانية ونظامها الاستبدادي الذي مارسه السلطان عبد الحميد الثاني[9]. ولم يتعارض ذلك المنحى مع السياسة البريطانية التي رحبت كثيراً بكل الأقلام التي تعمق الشرخ بين العرب والأتراك بحيث تأتي النتائج لصالح ترسيخ دعائم الاحتلال البريطاني والفرنسي على أكثر من رقعة عربية، وتمهد الطريق أمام مزيد من توسع ذلك الاحتلال بعد انهيار السلطنة.

على قاعدة المصلحة المتبادلة بين الانكليز والفرنسيين من جهة، والمثقفين السوريين والفلسطينيين واللبنانيين الذين التجأوا إلى مصر هرباً من الاضطهاد العثماني من جهة أخرى، تبلورت الأسس الموضوعية لنهضة صحفية كبيرة لعب فيها اللبنانيون الدور الأهم على أرض وادي النيل في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، واستمرت بزخم أقل حتى نهاية الاحتلال البريطاني لمصر.

وعلى غرار البيوتات المالية والتجارية والصناعية[10] وغيرها نشأت بيوتات صحافية كان في طليعتها آل تقلا أصحاب الأهرام، وآل الشميل أصحاب البصير، وشراكة صروف - مكاريوس - نمر، وآل النقاش، وآل الشدياق، وآل الحموي، وآل إسحق، وآل غرغور، وآل نوفل، وآل زيدان، وآل سركيس، وآل اليازجي، وآل انطون بالإضافة إلى أعلام بارزة في عالم الصحافة أمثال الشيخ رشيد رضا، وخليل مطران، ونجيب كنعان، وخليل زينية، وطانيوس عبده، وحبيب جاماتي، واسكندر شلفون، وأنطون الجميّل، وحنا أبي راشد، وخليل ثابت، ونجيب كنعان وغيرهم الكثير.

وتدل إحصاءات المرحلة التي سيطر فيها البريطانيون على مصر أن الاشتغال بالعمل الصحفي كان أحد الحقول البارزة التي استقطب نشاط الغالبية الساحقة من المثقفين اللبنانيين في مصر حتى ان عدداً كبيراً من الطلاب اللبنانيين انتقلوا إلى مصر فور تخرجهم من المدارس الثانوية أو من الجامعة للالتحاق هناك بالعمل الصحافي أو الوظيفي أو الترجمة وعيرها من حقول الثقافة[11].

والملاحظة البارزة في هذا المجال أن العمل الصحفي لم يقتصر فقط على التغطية الإعلامية والنشاط السياسي بل تعداه إلى مختلف جوانب الحياة. فقراءة متعمقة لعناوين الصحف الصادرة في تلك المرحلة تؤكد بما لا يقبل الشك أن صحافة اللبنانيين في مصر لم تهمل أي جانب له علاقة بحياة الناس، في المدن وفي الأرياف، في الثقافة والسياسة الاقتصاد والإدارة والعلوم وغيرها. فكانت صحافتهم سجلاً حافلاً يمكن من خلاله متابعة التفاصيل الدقيقة للتبدلات التي رافقت المجتمع المصري في الفترة الممتدة من أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين. وبرع بعض الشوام في جوانب جديدة ومبتكرة أرسوا لها تقاليد ما زالت مستمرة حتى الآن في العمل الصحفي المصري منها تبادل الأخبار مع وكالات الأنباء العالمية، والترجمة على الصحف والمجلات المشهورة، وإفراد زوايا خاصة للتسلية، والرياضة، والصحة العامة، والإرشاد الزراعي، والتدبير المنزلي، والنصائح الجنسية، والاكتشافات العلمية الحديثة، وسير العظماء، وروائع القصص العالمي، ونوادر الأدباء والشعراء، وزاوية مع الخالدين، وغيرها من الأبواب التي غدت ثابتة في الصحافة العربية.

وساهمت الطباعة في تنشيط العمل الصحفي وتطويره فكان اللبنانيون في طليعة النهضة الطباعية في مصر حيث كانت للصحف الكبرى والمجلات المعروفة مطابع خاصة بها كمطابع الأهرام، والمقطم، والهلال، وغيرها. وكان لهم الدور الريادي في تحديث آلات الطباعة، والحرف الطباعي في مصر خاصة الشيخ ابراهيم اليازجي الذي كان له فضل كبير في تطويره وتصميمه بالتكامل مع النهضة الصحفية والطباعية بين مصر وبيروت وجبل لبنان. ولعل من أبرز نتائج هذه المرحلة أن تعمق ارتباط جبل لبنان بمحيطة العربية وذلك عبر مدينة بيروت التي كانت حلقة الوصل الأكثر أهمية في تلك المرحلة. فكان لها الفضل الكبير في النهضة العربية سواء في المشرق العربي أم في مصر نفسها.

هكذا تعززت روابط اللبنانيين بمحيطهم العربي فتأثروا به وأثّروا فيه. أما الدعوات اللاحقة لفصل لبنان عن محيطه العربي فبدت عاجزة عن تحقيق أهدافها. فكان للتجربة الناجحة جداً التي خاضها اللبنانيون على أرض مصر العربية، في حقول الثقافة والمدرسة والصحافة والطباعة كما في حقول التجارة والبنوك والصناعة وإصلاح الأراضي والوظيفة والإدارة وغيرها، الأثر الهام في ربط جبل لبنان بمحيطه العربي. وكان للصحافة اللبنانية، ولصحافة اللبنانيين العاملين في مصر دور بارز في النهضة الصحفية، داخل لبنان وعلى امتداد الوطن العربي.

الحواشي

(1) حسن محمد صبحي «المؤثرات الأوروبية في مجتمع الاسكندرية في العصر الحديث». مقالة منشورة في كتاب «مجتمع الاسكندرية عبر العصور». المرجع السابق ـ الاسكندرية 1975.

(2) **مجلة «الهلال»** السنة الرابعة ـ الجزء الأول الصادر في أول أيلول 1895. يراجع أيضاً **ابراهيم عبده** «أعلام الصحافة العربية» القاهرة 1944.

(3) خليل صابات «تاريخ الطباعة في الشرق العربي». دار المعارف بمصر 1966 خاصة الباب الخامس ـ الفصل الرابع «عهد التفوق 1883-1924» صفحات 211 - 253.

(4) **عواطف عبد الرحمن** «دراسات في الصحافة المصرية والعربية» القاهرة 1977. خاصة صفحات 1 - 16.

(5) **مقابلة مع شكري جورجي زيدان** في 16 تموز 1983 قبيل وفاته في بيروت، ومقابلة مع حبيب متري زيدان شقيق جورجي زيدان ومع ابن أخيه **فؤاد ابراهيم زيدان** في القاهرة 15 تشرين الأول 1982.

(6) **جول خلاط** «أعمال البورصة في مصر» نقله عن الفرنسية خليل شيبوب ونشر في الاسكندرية عام 1937 في 228 صفحة. تراجع صفحات 76 - 77.

تراجع أيضاً **«الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية»**: «العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان» النشرة السنوية الأولى ـ كانون الثاني 1951. صفحات 1 - 6.

(7) اعتمدنا في إعداد إحصاء تفصيلي للصحف التي أصدرها اللبنانيون في مصر إبان الاحتلال البريطاني 1882 - 1952.

ـ يوسف أسعد داغر «قاموس الصحافة اللبنانية 1858 - 1974» «منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت 1978صفحات 395 - 452.

ـ يوسف ق. الخوري «مدوّنة الصحافة العربية» القسم الأول ـ معهد الأنماء العربي. بيروت 1985. وهذا القسم بصفحاته البالغة 548 سجل شامل للصحف العربية منذ نشأتها حتى عام 1980.

ـ فيليب دي طرازي «تاريخ الصحافة العربية» أربعة أجزاء ـ بيروت ـ المطبعة الأدبية 1913.

ـ مقابلة خاصة أجريناها مع شارل الشميل، ابن شقيق الفيلسوف شبلي الشميّل، وصاحب مقالة «نشأة الصحافة المصرية في مدينة الاسكندرية» المنشورة في كتاب «مجتمع الاسكندرية عبر العصور». والكتاب مجموعة محاضرات ألقيت في ندوة علمية بكلية الآداب في نيسان 1973 بالتعاون مع الجمعية التاريخية المصرية، وأصدرته جامعة الاسكندرية عام 1975

(8) لمزيد من التفصيل يراجع كتابنا:

مسعود ضاهر «الهجرة اللبنانية إلى مصر: هجرة الشوام» منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت 1986.

(9) **رفعت السعيد** «ثلاثة لبنانيين في القاهرة» ـ دار الطليعة ـ بيروت 1973

(10) على سبيل المثال يراجع:

ـ **الياس زخورا** «السوريون في مصر» جزءان ـ القاهرة 1927.

ـ سليم سركيس «الأمراء آل لطف الله» مطبعة الهلال ـ القاهرة 1924.

(11) حول دور اللبنانيين في مجال الترجمة في مصر، وهو دور ريادي بارز إلى جانب دورهم في المسرح والصحافة والطباعة وغيرها يراجع:

جاك تاجر «حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر». دار المعارف بمصر 1945.